الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

عمل عظيم :

أذكر بعزيد الغبطة والسرور قرار مجلس الوزراء الذى يقضى بمنح زوجة وولدى المرحوم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى معاشاً قدره ثلاثون جنيهاً على أن يؤول نصيب الولدين عند بلوغهما سن الرشد إلى الزوجة . وهكذا تحقق مسعى الإنسان العظيم عميد الأدباء الدكتور طه حسين بك ، وهذا القرار يعتبر مبدأ جديداً فى تقدير الأدباء تقديراً خالصاً من أى اعتبار لغير أدبهم وأثرهم فى خدمة البلاد .

ولقد كان من أشنع الجحود أن تهمل أسرة الكاتب العظيم — وليس لديها ما يوفر لها العيش الكريم اللائق بها — دون رعاية الدولة وعنايتها .

ولقد هزنى ذلك القرار الحكيم وبعث إلى فؤادى نشوة ، إذ استشعرت فيه أسرين إلى جانب أثره فى تخفيف أعباء العيش عن أسرة الأديب الراحل ، الأول أنه حما عن مصر سبة العقوق لأعلامها الأدباء ، والأمر الثانى أننا صرنا إلى حال يتجه فيها أولو الأمر إلى الحق الصرف ، وقد اعتدنا أن نرى تدخل الحزبيات فى المنح والمنع .

أما عميد الأدباء — رعاه الله — فماذا أقول فيه ؟

لقد قلت إبان توليته وزارة المعارف بعد أن أجملت برنامجه كما فهمناه من كتاباته ومحاضراته — قلت إننا لن نتوانى عن مطالبته بتنفيذ هذا البرنامج ، وداخلنى عند ذاك شىء من الإشفاق وأنا أستحضر ما عهدنا من بلادة الرسميات ، فقلت : ليس كل ما يكتبه الكاتب يستطيع تحقيقه إذا ولى الأمر . فالكاتب يضع المثل والتنفيذ شىء آخر ، ولكنا نرجو أن يعمل ما وسعه العمل . قلت ذلك وأنا لا أتوقع أنه سيصنع ما صنع من عظائم الأمور ولما يمض غير قليل . أما الآن فإنى أكرر أنى لا أدرى ماذا أقول فيه . ولكنى أرى الرجل قد زهد فى ثناء الكلام فاتخذ من الأعمال متنفيات لا توانى ولا تنافق .

وكثيراً ما يداخلنى شعور بأن لا أسرف فى الحديث عن الدكتور طه حسين لأن مكان معاليه فى الوزارة يثير التهمة بالملق ، وليس كل الناس يعلم أنى بعيد عنه . ولكن ما حيلتى ؟ هل أقول له مثلا : لا تعمل على تقرير معاش لأسرة المازنى وتعليم أولاده بالمجان فى التعليم العالى ؟

الحقيقة أننا حين نتحدث عن طه حسين فإننا نتحدث عن « معنى » أو « مثل » أتيح للبلاد أن تظفر به فى هذه الفترة من حياتها المضطربة . ألسنا إذن نتحدث عن نعمة الله فينا ؟

المعوقات الثقافية للأدب :

ابتدأت محطة لندن العربية إذاعة سلسلة من الأحاديث لمعالى الدكتور طه حسين بك فى موضوع « معوقات الأدب الحديث » وقد أذيع أول هذه الأحاديث يوم الجمعة الماضى ، وقد تناول فيه واحداً من هذه المعوقات ، وهو الخاص بالثقافة ، فقال : إنه يأتى من أن الثقافة ليست منتشرة فى الشرق العربى كما ينبغى ، فالتعليم لا يزال محدوداً ، وقراء الأدب تبعاً لذلك قليلون ، فالكاتب لا يجد صدى كبيراً لما يكتب ، ولا يجد ما يغنيه من الكسب المادى . وقد كان الأدباء فى القديم وفى أوائل الحديث يتكسبون بأدبهم من الأمراء والكبراء ، أما الأديب المعاصر فقد عزف عن ذلك واتجه إلى الاعتماد على أدبه فى كسب عيشه ، وإن كان الأدباء قد اضطروا إلى الرجوع إلى الحماية بعض الشىء ، وهم يكتبون فى الصحف ويعملون فى خدمة الدولة لأن الأدب وحده لا يقوم بحاجتهم ، والأديب فى حاجة إلى أن يفرغ لأدبه ، يقرأ كثيراً ويكتب قليلا ، فلو كثر القراء وأغنوا الكاتب عن اللجوء إلى الوسائل الأخرى لكان للأدب فى الشرق العربى شأن آخر . وهناك ناحية أخرى لهذه المسألة ، وهى أن ثقافة الأدباء وثقافة القراء قليلة التنوع ، وذلك آت من طريقة التعليم ، فإن التعليم فى الشرق العربى لا يتيح للمتعلمين إلا تعلم لغة أجنبية واحدة أو اثنتين ، فالكاتب الذى لا يلم بالثقافات المختلفة لا يتعمق موضوعه ؛ والمثل الأعلى فى ذلك أن يكون فى الأمة من يترجمون إلى لغتها كل ما يجدق

الأمم الأخرى من ألوان الثقافات، فيجد الأدباء والقراء من هذه الثقافات ما ينمي أفكارهم ويوسع آفاقهم.

مقولات زعرورية:

أشرت في الأسبوع الماضي إلى كلمة الأستاذ حبيب الزحلاوي التي عقب بها على ما جاء خاصاً به، وعلى غير ما يخصه، فيما كتبته عن حفلة تأبين المغفور الأستاذ علي محمود طه بالمنصورة.

وأسارع أولا فأشكره على ثنائه، وأذكر فضله فيما هيأ لنا من جو المرح والدعابة في تلك الرحلة بسعة صدره وقوة أعصابه الحديدية.

وأوثر أن أعرض عما تطاير في كلمته من شرر أوري وخبا دون أن يصيب هدفا، فمن المفهوم أني لم أحذ حذوه في الخصومة كما قال، إنما هي مشاكلة في التعبير، كما أني لا أشعر بحاجة إلى إقناعه بأني أنقنت (القفش والتنكيت) وما أنتظر منه دعوة إلى مزيد من انتباه وإتقان — أوثر أن أعرض عن ذلك كله، لأقصد إلى جلاء المعالم الأدبية فيما تناوله.

يقول إني تعثرت في الخطوة الأولى، ويزعم «أن الذي يتعثر ويكبو في الخصام قد لا يهتدي إلى السبيل المؤدي إلى الفوز والنصر» مهلا يا صديقي! ولا صارما في حكمك هكذا.. فإن الذي زعمته تعثرا وكبوا والذي هو أنا قد ينهض من عثرته وكبوته ويأخذ في السبيل إلى النصر.. إلا أن يكون ذلك مستحيلا في منطقك الحديدي! ثم ما هي العثرة أو الكبوة التي أخذتني سبيل نصر ليس في بالي وحسباني؟ الأني قلت إن وصفك للشاعر الذي اجتمع الناس لتأبينه بالبوهيمية غير لائق بالمقام! كنت أحسب أن هذه الإشارة تكفي، وقد تلطفت أيضاً فوصفت كلمتك التي ألقيتها بالحفل، حفل التأبين، بأنها لم تنبعث بماء العاطفة. فجئت تقرر مذهباً جديداً في التأبين يسوغ أو لعله يوجب أن لا يقتصر على ذكر محاسن الشاعر والإعراب عن عواطف الأسى لفقده، بل لعل هذا المذهب الجديد يلغي المراثي من الأدب ويمنع التأسي والتفجع، فإنك تقول «ما جئت أبكي صديق الراحل، ثم ما قيمة البكاء على الميت؟ وهل إذا ندبت كلامي بماء العاطفة كنت أضفت صفة جديدة إلى الصفات التي اجتمعنا للاحتفال بها» فلم جئت إذن يا صاحبي! أتقول إن الشاعر كان عربيداً ماجناً؟ وبذلك أضفت صفة جديدة إلى الصفات المحتفل بها! وأكسبت الحفل قيمة أي

كشكول الأسبوع

▫ وافق معالي وزير المعارف على منح إعانة قدرها ١٢٠٠ جنيه لمعهد دراسات البحر الأبيض المتوسط في نيس بفرنسا، لكي يستعين بها على تنفيذ برنامجه في الدراسات الخاصة بحضارات شعوب البحر الأبيض المتوسط — ومن بينها مصر — قديما وحديثا.

▫ كتبت وزارة الشئون الاجتماعية إلى وزارة المعارف بأنها اتفقت مع شركة انجليزية على إخراج فلم عن حياة محمد علي الكبير، وأن الشركة ترغب في إمدادها بالإرشادات الفنية والتاريخية التي تلزمها عند تصوير الفلم عن طريق مناحف وزارة المعارف. وقد رأت الوزارة أن يؤخذ رأيها أولا في السناريو قبل إخراجه وأن تدفع الشركة مكافآت للفنيين.

▫ شاهدنا يوم السبت الماضي فلمين عربيين عن الباكستان عرضا بدار قسم الاستعلامات والتعليم الأمريكي، ومما تتميز الحياة في الباكستان — كما يبدو في الفلمين — الاحتفاظ بالأصالة القومية مع الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة، فقد رأينا — مثلا — المرأة الباكستانية، بالحفلات وفي صفوف الجندية، في مناظر ذات وقار وروعة، متحررة من الجمود في غير تبذل.

▫ يعمل الآن الدكتور سامي الدهان في تحقيق وإخراج كتاب «تاريخ حلب» لابن النديم الحلبي، وقد عثر على الأصل المخطوط في إحدى المكتبات العالمية. والكتاب يتناول تاريخ حلب ابتداء من القرن الأول الهجري إلى عصر المؤلف في القرن السابع، وهو يقع في ثلاثة أجزاء، ويصدر الجزء الأول قريبا بدمشق.

▫ انتهت رحلة الفرقة المصرية للتمثيل إلى بلاد المغرب وعاد أفراد الفرقة إلى القاهرة في هذا الأسبوع، ولقد لاقت الفرقة هناك إقبالا كبيرا على حفلاتها، ولكن مع هذا النجاح المادي وجه إليها النقاد الفنيون هناك مآخذ على مسرحياتها منها أن أكثر ما قدمته قديم ومؤلف باللغة العامية في حين أن اللغة العربية تستطيع أن تواجه حاجات المسرح.

▫ من اعتمادات الأعمال الجديدة بميزانية وزارة المعارف ألفا جنيه لتجهيز البعوث العلمية إلى السودان، وألفا جنيه لنفقات إلقاء محاضرات موسمية بالسودان.

▫ قال رجل لأحد أمراء العرب: لي عندك حاجة صغيرة. فقال له: دعها حتى تكبر.

قيمة ! إذ أخرجته عن ندب النادبين وبكاء البكائين إلى ... إلى ماذا يا ربى ؟ ! أأقول إلى شم الشامين ؟ يا أستاذ زحلاوى ، إن حفلات التأبين إنما تقام للتأبين أى ذكر محاسن الفقيد وتمديد مناقبه ، وحفلات التكريم هى أيضاً تقام للتكريم لا للتهزىء ، فإن بالغ قوم فى هذا أو ذاك إلى درجة الكذب واختراع صفاته غير موجودة فى المؤبن أو المكرم فهذا شىء آخر غير ما كنا فيه بالمسورة ، وهو خروج عن الأصل لا حاجة بنا إلى زجه فى مناسبتنا الكريمة اللهم إلا إن كنت تريد أن تبتكر نوعاً من الحفلات طبقاً لمذهبك السالف الذكر ، حفلات لا عهد لأحد بها ، وهى جديرة بأن تنسب إلى مخترعها فتسمى حفلات زحلاوية ..

وما ذنب الشعر يا صديقى حتى كدت تصهره بنارك أو تعالجه بالمطرقة والسندان وهو فن رقيق كالأزهار تتلقاه المشاعر كما يلمس البنان الزهرة فى رفق وحنان ؟ فالشاعر صاحب القصيدة الجيدة يتخيل أصحاب الشاعر قد ذهلوا لأنه غادر الشاطىء وأوغل فى اليم ، فوقفوا مذهولين يحلمون بعودته ، ولكن الذاهب لن يعود .

قل للرفاق الحالمين تيقظوا ودعوا الأمانى الكواذب عنكمو
حلم من الأحلام عودة ذاهب لا تحلموا بعجيئه لا تحلموا

فماذا يضيرك يا سيدى من أن يقال إن هذا كلام جيد ؟ هل عيبه أنك ألقيت كلمة فى الحفل يجب أن تسطع شمسها فتحجب سائر النجوم والكواكب ؟

ورأيتك يا صديقى تأتى بأقباس من كلمة الأستاذ الزيات وتطالب مقارنتها بما قلت أنت لتخرج بالنتيجة التى أردتها وهى أنك رسمت معه « الخطوط الرئيسية لمن يتوفر على دراسة الشاعر الصديق على محمود طه » وقد علمنا ما قاله الأستاذ الزيات ، فهل وصفك الشاعر بالبوهيمية والمربدة هو الذى كمل هذه الخطوط دون كل ما قيل فى الحفل من نثر وشعر ؟!

هلا رسمت مستقلا خطوط هذه الدراسة ، ولعلك تفعل الآن وأنت فى حل من أن تذكر عن الشاعر الفقيد كل ما تريد فى غير مقام التأبين ، وقد ذكرت أنك تعرف عنه كثيراً ، وإنى افترض فيك الكفاية ، فهيا ... وأرجو لك الهداية إلى سبيل الفوز والنصر.

معرض الفن الأسبانى :

يقوم هذا المعرض الآن فى قصر اسماعيل على شاطىء النيل وهو يمثل الفن الأسبانى فى الرسم والتصوير والنقش والنحت فى القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، ويحوى أعمالا فنية لفنانى هذه الفترة الأسبانيين وعلى رأسهم الفنان العظيم « جويا » الذى تحرر من الجمود فى عصره وعبر بحرية تامة عن نوازعه الانسانية وثار على الأوضاع وسخر من أهل الرذائل والنقائص ، يعبر عن كل ذلك بريشته كما يعبر الكاتب بقلمه ومن هؤلاء الفنانين أيضاً « جوليو أنطونيو » الذى تعمق طبائع الانسان مع الوضوح والصفاء ، وسيم « زوكوبا » الذى يمتاز بالقوة والثقة والتجديد ، و « دالى » الذى أبدع جمالا أروع من الواقع فى لوحته « المرأة فى النافذة »

ويشعر الانسان فى هذا المعرض أنه أمام حرارة فائرة وفصاحة باهرة ، ولا إخال كلتا الصفتين إلا منحدرتين من الدم العربى الأندلسى الذى لا يزال متغلغلا فى تلك البلاد ، فالحرارة الفائرة هى حرارة الشرق ، والفصاحة هى البيان العربى الشرقى قد تحول على الريشة إلى خطوط وألوان . وإنك لتقرأ فى هذه الأعمال الفنية قصائد ومقالات ، أبدعها قصائد الغزل . فالمرأة تمثل أهم اللوحات والتماثيل ، وهى المرأة العربية بسحنتها وسماتها مع ما اكتسبته هناك من الحضارة الزهراء والبشرة البضة الملساء ، وترى فيها غزل عمر بن أبى ربيعة وأصحابه كما ترى نسيب المغربين ممثلا فى تعبيرات النفس المحبة والعواطف المتأججة .

وتبرز فى هذا الفن الاسبانى الناحية الاجتماعية والانسانية أكثر من مظاهر الطبيعة ، فالغالب فيه تحليل النفس الانسانية واستخراج الموضوعات المختلفة من صورة الانسان . مثل « أهوال الحرب » و « الثورة » و « محاكم التفتيش » وغيرها . ويبدو فيها تمجيد الانسانية العالية ونقد الأوضاع المنحرفة والسخرية منها .

ولكننى حرت أمام صور المصارعة الثيرانية ، فإنى أقشعر من هذه المناظر وأشعر بوحشيتها ، ولكن لم أجد على اللوحات تعبيراً عما بنفسى ، بل أجد الأمر على خلاف ذلك ، وكل الطاقة الفنية منصبة على المهارة فى إبراز الأوضاع المختلفة لهذه المصارعة ، ولكننى لست أسبانيا ، والفنان الأسبانى إنما يعبر عن شعور الأسبانيين فى اعتزازهم بهذه « الفروسية » ومع هذا فقد كنت أرجو وأن أجد هناك فناناً يرتفع عن هذه الظاهرة القومية إلى ذروة الانسانية ...

عباس خضر